أثر النظم القرآني في بلاغة اللغة العربية

علي محمد أسعد

جامعة السلطان قابوس- كلية التربية، قسم العلوم الإسلامية (سلطنة عُمان)

The Impact of Qur'anic Structure on the Eloquence of the Arabic Language

Ali Asaad

https://orcid.org/0000-0002-5629-8446

Sultan Qaboos University (Sultanate of Oman)

تاريخ الاستلام: 12 / 08 /2025 تاريخ القبول: 22 / 09 / 2025 تاريخ النشر: 01 / 12 / 2025

الملخص:

شكّل النظم القرآني نقطة تحول كبرى في مسار البلاغة العربية، حيث لم يكن العرب قبل نزول القرآن يدركون سر التأثير الأسلوبي في ترتيب الكلام على النحو الذي ظهر في كتاب الله، بل كان معيار البلاغة لديهم مقصورًا على جزالة اللفظ والذوق الفطري، ولما نزل القرآن، تجلّى في أسلوبه خصائص نظم معجز، من حيث ترتيب الكلمات، وتناسق المعاني، وانسجام الجمل، هذا الذي يستدعي البحث في أثر النظم في بلاغة اللغة العربية.

أهداف البحث:

1. تحليل أثر النظم القرآني في نشأة علوم البلاغة العربية وتطورها.
2. بيان مظاهر تميز النظم القرآني المؤسسة لإرساء معايير جديدة للبيان والفصاحة.

نتائج البحث:

شكّل النظم القرآني تطورا في البلاغة العربية، ليس فقط من حيث الشكل البياني، بل من حيث إعادة صياغة العقل البلاغي العربي؛ ليقوم على التحليل السياقي للعلاقات بين الألفاظ والمعاني، بعد أن كانت البلاغة الجاهلية تدور غالبًا حول فخامة اللفظ وجزالة التركيب.

قام العلماء بدراسة نظم القرآن وتحليل تراكيبه وأساليبه، فاستخرجوا منها قواعد بلاغية دقيقة، مثل التقديم والتأخير، والحذف والذكر، والإيجاز والإطناب، والتصوير البياني. لم تكن هذه القواعد مدوّنة أو محددة قبل القرآن، بل جاء تقعيدها نتيجة التأمل في أسرار النظم القرآني وبلاغته الفريدة. كما أسهم النظم القرآني في توسيع الدلالة البلاغية، وبيان الفرق بين المعاني القريبة والبعيدة، فنشأ عن ذلك ذوق بلاغي رفيع لا يقف عند مستوى الألفاظ، بل يغوص في عمق التراكيب.

الكلمات المفتاحية: إعجاز، النظم القرآني، بلاغة، اللغة العربية، الذوق الأدبي.

Abstract:

The Qur'anic structure (al-nazm al-Qur'ānī) represents a transformative milestone in Arabic rhetoric. Before the Qur'an, Arabs evaluated eloquence mainly by verbal strength and natural taste, without recognizing the stylistic power of syntactic order. The Qur'an introduced a miraculous linguistic system distinguished by the precise arrangement of words, harmony of meanings, and coherence of expression.

Although many studies have explored Qur'anic inimitability, few have specifically examined how its structural organization shaped Arabic eloquence and rhetorical sciences. This study asks: How did the Qur'anic structure influence the eloquence of the Arabic language?

The research aims to (1) analyze the Qur'an's role in the emergence and development of Arabic rhetorical sciences, and (2) identify how its unique order established new standards of clarity and expressiveness.

Findings show that the Qur'an revolutionized rhetoric not merely in style but in intellectual approach—redirecting focus from verbal magnificence to contextual relations between words and meanings. Scholars studying the Qur'an's syntax and stylistic features extracted core rhetorical principles such as precedence and delay, ellipsis and mention, brevity and elaboration, and figurative imagery. These rules were not formally defined before the Qur'an; they were derived from reflection on its linguistic precision and coherence.

Ultimately, the Qur'anic structure deepened rhetorical perception, distinguishing between near and subtle meanings and fostering an advanced aesthetic sensibility that penetrates beyond words into the intricate harmony of linguistic composition.

Keywords: Qur'anic Structure; Inimitability; Eloquence; Arabic Rhetoric; Aesthetic Taste.

مقدمة:

شكّل النظم القرآني نقطة تحول كبرى في مسار البلاغة العربية، حيث لم يكن العرب قبل نزول القرآن يدركون سر التأثير الأسلوبي في ترتيب الكلام على النحو الذي ظهر في كتاب الله، بل كان معيار البلاغة لديهم مقصورًا على جزالة اللفظ والذوق الفطري، ولما نزل القرآن، تجلّى في أسلوبه خصائص نظم معجز، من حيث ترتيب الكلمات، وتناسق المعاني، وانسجام الجمل، ورغم كثرة الدراسات حول الإعجاز القرآني، إلا أن تأثير النظم القرآني في بلاغة اللغة العربية وعلومها لم يُدرس دراسة خاصة، لذا سيكون التساؤل المحوري للدراسة هو: ما أثر النظم القرآني في بلاغة اللغة العربية؟.

مشكلة البحث:

النظم القرآني هو أساس الإعجاز البياني للقرآن، ورغم كثرة الدراسات حول الإعجاز القرآني، إلا أن تأثير النظم القرآني في بلاغة اللغة العربية وعلومها لم يُدرس دراسة خاصة، لذا سيكون التساؤل المحوري للدراسة هو: ما أثر النظم القرآني في بلاغة اللغة العربية؟

أسئلة البحث:

1. ما المراد بالنظم والبلاغة؟
2. ما أثر النظم القرآني في نشأة وتطور البلاغة العربية؟
3. ما مظاهر تميز النظم القرآني المؤسسة لمعايير جديدة للبيان والفصاحة، ولضبط الذوق الأدبي والنقدي لدى العرب؟

أهداف البحث:

1. تحليل أثر النظم القرآني في نشأة علوم البلاغة العربية وتطورها.
2. بيان مظاهر تميز النظم القرآني المؤسسة لإرساء معايير جديدة للبيان والفصاحة.

منهج البحث:

سأتبع المنهج التحليلي والاستقرائي حيث سأقوم باستقراء الدراسات البلاغية منذ نشأتها إلى تبلور معالمها بعد الجرجاني، مع تحليلها، وكذلك استقراء مظاهر تميز النظم القرآني والاستدلال لها بالشواهد والأمثلة المناسبة.

خطة البحث:

المقدمة

تمهيد: تعريف النظم والبلاغة في اللغة والاصطلاح

المبحث الأول: أثر النظم القرآني في نشأة البلاغة العربية

المبحث الثاني: تميّز النظم القرآني.

الخاتمة والنتائج.

تمهيد: تعريف النظم والبلاغة في اللغة والاصطلاح

أولا – تعريف النظم القرآني:

أجمع العلماء على تعظيم شأن النظم، والتنويه بذكره، لأنه لا قدر ولا قوام لكلام إلا به، فعليه المدار، وبه يحصل الاستقلال[1] والاتصال، والبيان والإفصاح، والإيجاز والإطناب، ويظهر الالتحام والانسجام، والتناسق والاقتران، لذا فإن القرآن الكريم بلغ من ترابط أجزائه وتماسك كلماته وجمله وآياته مبلغاً لا يدانيه فيه أي كلام آخر.

النظم في اللغة والاصطلاح:

النظم في اللغة من (نظم) والنَّظْمُ: التأْليفُ، "نَظَمَه يَنْظِمُه نَظْماً ونِظاماً ونَظَّمه فانْتَظَم وتَنَظَّم ونظَمْتُ اللؤْلؤَ أي جمعته في السِّلْك ..... وكلّ شيء قَرَنْتَه بآخر أو ضَمَمْتَ بعضَه إلى بعض فقد نَظَمْتَه، والنَّظْمُ المَنْظومُ وصف بالمصدر والنَّظْمُ ما نظَمْته من لؤلؤٍ وخرزٍ وغيرهما"[2].

تعريف النظم في الاصطلاح:

النظم هو "تأليف الكلمات والجمل مترتبة المعاني متناسبة الدلالات على حسب ما يقتضيه العقل، وقيل: الألفاظ المترتبة المسوقة المعتبرة دلالاتها على ما يقتضيه العقل"[3].

يلاحظ أن الصلة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي هي الضم والجمع، فالنظم في اللغة يطلق على كلّ شيء قَرَنْتَه بآخر بينما في الاصطلاح فيقصد بنظم القرآن: "طريقة تأليف حروفه، وكلماته، وجمله، وسبكها مع أخواتها في قالب محكم، ثم طريقة استعمال هذه التراكيب في الأغراض مع أخواتها في قالب محكم، ثم طريقة استعمال هذه التراكيب في الأغراض التي يتكلم عنها، للدلالة على المعاني بأوضح عبارة في أعذب سياق وأجمل نظم[4]".

فمادة النظم هي اقتران الكلمات بعضها ببعض على نحو تكون فيه الألفاظ مؤتلفة، والدلالات متناسقة، والمعاني منسجمة، ويظهر فيه الكلم مترابطاً، يأخذ كل لفظ بعنق الآخر، مع استقراره وتمكنه في محله، فلا يمكن أن ينازعه لفظ آخر في مكانه، بل تلتحم الألفاظ والمعاني وتتآخى في نسق واحد، مستلزمة لبعضها البعض، مثيرة للصور والأخيلة، فلا نجد ثغرة في المخارج، ولا نفوراً بين المعاني.

ثانيا - تعريف البلاغة في اللغة والاصطلاح:

يتمحور المعنى اللغوي لكلمة (بلغ) حول الوصول والانتهاء إلى الشيء، أو مقاربته؛ فمما جاء في اللسان في معنى (بلغ): "بلغ الشيء يبلغ بلوغا وبلاغا: وصل وانتهى." "وبلغت المكان بلوغا: وصلت إليه، وكذلك إذا شارفت عليه، ومنه قوله تعالى: (فَإِذا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ) [البقرة: ٢٣٤] أي: قاربنه.[5]"
قال الرّماني: "البلاغة: إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ"[6].
أما الخطيب القزويني فقد ذهب إلى تعريف بلاغة الكلام بأنها "مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته[7]".
ومن التعريفات الجامعة للبلاغة تعريف أبو هلال العسكري: "البلاغة كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع، فتمكنه في نفسه كتمكنه في نفسك، مع صورة مقبولة ومعرض حسن"[8].

يلاحظ أن الغاية من البلاغة في الكلام إيصال مراد المتكلم بأسلوب يؤدي إلى إفهام السامع والتأثير به وإقناعه.

المبحث الأول
أثر النظم القرآني في نشأة البلاغة

تمهيد: أهمية علم البلاغة

إذا كان "العلم الباحث عن القواعد التي تصيّر الكلام دالاً على جميع المراد، وواضح الدلالة عليه يدعى علم البلاغة "[9] فإن ذلك يؤكد ارتباط البلاغة بالتفسير، لأنها تشمل فنوناً من المقاصد، ولأن البلغاء أدركوا أن بعضها أكثر اهتماماً بنصيب المتلقي من بعض، ففي البلاغة العربية تم التميز بين نوعين من المقامات، مقام اللغة، ومقام مستعمل اللغة وسامعها أو " التفكير لوجه التفكير، والتفكير من أجل التأثير"[10] قامت البلاغة العربية سواء في علم البيان أو علم المعاني على الدراسة اللغوية للنص، إذ بدأت كاتجاه مبكر في علم أصول الفقه بضبط العلاقة بين اللفظ والمعنى، كمدخل لدراسة القرآن الكريم والحديث الشريف[11].

لا يخفى لفهم معاني القرآن أهمية قواعد العربية[12] المتمثلة بمجموع "علوم اللسان العربي، وهي: متن اللغة، والتصرف، والنحو، والمعاني، والبيان، ومن وراء ذلك استعمال العرب المتَّبَع من أساليبهم في خطبهم وأشعارهم وتراكيب بلغائهم[13]"

أرشد المفسرون إلى أن" لعلمي البيان والمعاني مزيد اختصاص بعلم التفسير" "لأنهما وسيلة لإظهار خصائص البلاغة القرآنية، وما تشتمل عليه الآيات من تفاصيل المعاني وإظهار وجه الإعجاز، ولذلك كان هذان العلمان يسميان في

القديم" علم دلائل الإعجاز[14]" إضافة إلى أن المفسر يفتقر لهذين العلمين للوقوف على تمام مراد الحكيم تعالى[15]، وذلك لبيان ما تشتمل عليه الآيات من تفاصيل المعاني، والوقوف على مقاصدها، والحث على النظر وبذل الجهد في الوصول إلى غاية مراد الله تعالى، وذلك إما ليكثر الطلب واستخراج النكت، وإما بتتبع ما يقتضيه المقام باعتبار أن المراد قد نصب عليه علامات بلاغية[16]، إضافة إلى إظهار الإعجاز القرآني ووسيلة لإظهار خصائص البلاغة القرآنية[17]،" فخصوصيات الكلام البليغ ودقائقه الكثيرة في القرآن الكريم ملحوظة للمتحدّين به، إذ تلفت الأذهان إلى كونه معجزاً[18]."

المطلب الأول: بداية البحث والتأليف في البلاغة العربية:

أولا- بداية البحث البلاغي وأسبابها:

كانت البلاغة قبل نزول القرآن الكريم عند العرب ذوقًا فطريًا يعتمد على السليقة والارتجال، والجزالة، والموسيقى اللفظية، دون تقعيد أو نظر دقيق في خصائص التراكيب[19]، ولما نزل القرآن واجه العرب أسلوبًا غير مسبوق في نظمه، فوقفوا أمامه حائرين عاجزين منبهرين، والذي أعجزهم نظمه البديع، وتأليفه العجيب، ولكن لم يكونوا يعبرون عنه بقواعد بلاغية؛ لأنها كانت مركوزة في طبائعهم[20]، ولكن مع انتشار الإسلام في أصقاع الأرض، واختلاط العرب بغيرهم ضعفت السليقة العربية، وأثيرت المطاعن والشكوك في بلاغة القرآن وإعجازه، مما دفع العلماء إلى الرد عليها بالدليل، والتأصيل لعلم البلاغة بدراسة واستنباط وجوه البلاغة القرآنية[21]؛ فظهرت علوم البلاغة الثلاثة (المعاني، البيان، البديع) التي كان من أبرز أسباب نشأتها الدفاع عن القرآن ضد المنكرين لإعجازه، أو الرد على المعتزلة القائلين بنظرية الصرفة التي لا تعطي مزية لبلاغة القرآن عن سائر كلام البشر[22]، حيث كان لذلك كبير الأثر في البحث عن مظاهر إعجاز القرآن لإثبات تميزه عن أساليب البشر في الكلام، مما أثمر في إغناء المباحث البلاغية، وتطورها، إلى أن توجت بنظرية النظم[23].

زودت هذه الدراسات علم البلاغة بفيض من القواعد والأمثلة، خدمة للقرآن الكريم، مما ساعد على ظهور التفكير البلاغي وازدهار الدراسات البلاغية[24].

فكان الإعجاز القرآني هو السبب المباشر في البحث عن النظم القرآن؛ لكن البداية لم تكن من خلال كتب مستقلة، بل كانت مدرجة مع غيرها من المسائل المتعلقة بالنبوة والمعجزة[25].

وكان من أوائل من ألف فيها أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت208 هـ)، وكان غرضه من كتابه (مجاز القرآن) توضيح التراكيب القرآنية[26]، فبين ما يعتري بعضها مثل التقديم والتأخير والحذف والذكر[27]، كما بين في مواضع كثيرة نماذج من علم البيان كالكناية، والتشبيه، والمجاز العقلي، كما تحدث عن الاستعارة في كتابه (النقائض) وإن لم يسمها باسمها[28].) ويذكر ياقوت الحموي في (معجم الأدباء) رواية عنه في سبب تأليفه لكتابه مجاز القرآن يقول فيها: "قال أبو عبيدة: أرسل إليَّ الفضل بن الربيع إلى البصرة في الخروج إليه سنة ثمان وثمانين ومئة، فقدمتُ إلى بغداد، واستأذنْتُ عليه، فأَذِن لي فدخلتُ عليه ... ثم دخل رجلٌ له هيئة، فأجلسه إلى جانبي، وقال له: هذا أبو عبيدة عَلاَّمة أهل البصرة، أَقْدَمْناه لنستفيد من علمه وقال لي: إني كنت إليك مشتاقاً، وقد سألت عن مسألة، أفتأذن لي أن أعرِفك إياها؟ فقلت: هات.

قال: قال الله عز وجل: (طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ) [الصافات: 65] ، وإنما يقع الوعد والإيعاد بما عُرِف مثله، وهذا لم يُعرف. فقلت: إنما كلَّم الله تعالى العرب على قَدْر كلامهم، أما سمعتَ قول امرئ القيس:

أيقتُلني والمَشْرَفِيُّ مُضاجِعي ... ومَسْنونةٌ زُرْقٌ كأنياب أَغْوال

وهم لم يَرَوا الغول قط، ولكنهم لما كان أمرُ الغول يَهولهم أُوعِدوا به، فاستحسن الفضل ذلك واستحسنه السائل، وعَزَمْتُ من ذلك اليوم أن أضع كتاباً في القرآن في مثل هذا وأشباهه، وما يُحتاج إليه مِنْ عِلْمه، فلمَّا رجعت إلى البصرة عملت كتابي الذي سَمَّيْتُه المجاز" [29]. وكذلك الفراء (ت207 ه) صاحب كتاب (معاني القرآن) لا يخلو كتابه من المسائل البلاغية، من مباحث علم المعاني، ومباحث علم البيان[30]، والغرض منها فهم القرآن عن طريق تربية الذوق الأدبي[31].

ثانيا - التأليف في البلاغة القرآنية:

ظهرت في القرن الثالث الهجري مؤلفات في الإعجاز تحمل في الغالب عنوان نظم القرآن[32]، الجامع بينها مما نجزم به أنها مفقودة، أولها: "نظم القرآن" للجاحظ(ت 255هـ)، فقد وصلت إلينا بعض مباحثه القيمة في قضايا البلاغة القرآنية، مبثوثة في كتابيه (البيان والتبيين) و (الحيوان)، كالإيجاز، والتشبيه، والمجاز، والاستعارة، والكناية[33]، وهو يرى أن القرآن معجز بنظمه وتأليفه، ويعد الجاحظ من أوائل من وضعوا البذور الأولى لنظرية الإعجاز التي تطورت فيما بعد[34]. ويأتي بعد الجاحظ ابن قتيبة (276هـ) كتابه (تأويل مشكل القرآن)، وهو يتفق مع الجاحظ في نظرية اللفظ، وقد وقف عند كثير من آي القرآن الكريم يجلّي ما فيها من بيان، مما كان له أثر عند علماء البلاغة والإعجاز فيما بعد، ويرد بعض الشبهات عن البيان القرآني[35].

تلك الدراسات وإن كانت تمثل إشارات مهمة لمسائل إعجاز القرآن، فإنها تدل على أنه يمثل الأساس الذي سيوسع من دائرة البحث البلاغي فيما بعد، ففي القرن الرابع الهجري ألف علي بن عيسى الرماني المعتزلي (ت387هـ) رسالة بعنوان: النكت في إعجاز القرآن، ألفها إجابة لبعض طلبة العلم لشرح تلك النكت باختصار، فبعد أن مهد للإعجاز تفرغ للنظر في إعجازه من جهة البلاغة، فأفاض في الحديث فيها، فجعلها ثلاث طبقات[36]: "منها ما هو في أعلى طبقة، ومنها ما هو في أدنى طبقة، ومنها ما هو في الوسائط بين أعلى طبقة وأدنى طبقة؛ فما كان أعلاها طبقة فهو معجز وهو بلاغة القرآن الكريم، وما كان منها دون ذلك، فهو ممكن كبلاغة البلغاء من الناس[37]" وجعل والبلاغة عشرة أقسام وهي: الإيجاز والتشبيه والاستعارة والتلاؤم والفواصل والتجانس والتصريف والتضمين والمبالغة وحسن البيان. ثم يمضي لشرح كل قسم مستشهدا بالآيات القرآنية وبيان أسرار الجمال فيها[38]، وفي هذا إشارة ضمنية إلي قيمة الإعجاز البلاغي، وهي لبنة مهمة على درب البحث البلاغي، انضافت إلى جهود السابقين[39]. ثم تأتي رسالة بيان إعجاز القرآن لأبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي (ت388هـ)، مثلت أفكاره اللغوية شعلة مرحلة مهمة في قضية النظم القرآني والنظم بصفة عامة. حيث تجاوز التقليد في شرح الإعجاز من جهة البلاغة وأضاف نوعا آخر من الإعجاز وهو الإعجاز التأثيري الإقناعي. وقد تكلم في النظم وذكر أنه "انما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة: لفظ حامل، ومعنى به قائم، ورباط لهما ناظم. واذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه فى غاية الشرف والفضيلة، حتى لا ترى شيئا من الألفاظ أفصح، ولا أجزل، ولا أعذب من ألفاظه، ولا ترى نظما حسن تأليفا، وأشد تلاؤما وتشاكلا من نظمه" [40].

وقال فى بيان أسباب عجز البشر عن الاتيان بمثله: "ولا تكتمل معرفتهم لاستيفاء جميع وجوه النظوم التى بها يكون ائتلافها (أى الألفاظ الحوامل) وارتباط بعضها ببعض".

ويقول فى بيان المراد بالنظم وصعوبة بناء الكلام على وجه فيه مستقيم:

"وأما رسوم النظم فالحاجة إلى الثقافة والحذق فيها أكثر، لأنها لجام الألفاظ وزمام المعاني، وبها تنتظم أجزاء الكلام ويلتئم بعضه ببعض، فتقوم له صورة فى النفس يتشكل بها البيان[41]".

وحين نتأمل هذا الكلام نجده قريبا من النظم الذى أشار اليه عبد القاهر وجعله أساس بحثه فى الاعجاز البلاغى، لأنه يعنى الروابط بين الكلمات والجمل، وليس هذا الا توخى معاني النحو كما يقول عبد القاهر[42].

المطلب الثاني: التوسع في الدراسات البلاغية ونظرية عبد القاهر الجرجاني

أولا -التوسع في الدراسات البلاغية:

يعد كتاب إعجاز القرآن" لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني الأشعري(ت403 هـ) من أوسع كتب الإعجاز التي ألفت في القرن الرابع الهجري، وقد كانت مقدمته أقرب إلى الجدل الكلامي والمذهبي [43].أما وجوه الإعجاز عنده فتنحصر في ثلاثة وهي: تضمنه لأخبار الغيوب، وأمية الرسول وجهله بقصص الأولين وأنبائهم، وأن القرآن بديع النظم، عجيب التأليف، متناه في البلاغة إلى الحد الذي يعجز الخلق عنه[44].

ويظهر أن معنى النظم الذى ذكره القاضي الباقلاني فى جملة وجوه الإعجاز أنه طريقة الكلام وأسلوبه، فهو مقابل للشعر، والسجع، والكلام المرسل، وهذا بخلاف معنى النظم عند عبد القاهر، وكان القرآن كما يقولون معجزا بنظمه أي بخروجه عن أصناف كلامهم وأساليب خطابهم، فهو خارج عن العادة، ومعجز بهذه الخصوصية التى ترجع إلى جملة القرآن وتحصل فى جميعه[45].

ثم يأتي كتاب " المغني في أبواب العدل والتوحيد الذي ألفه القاضي أبو الحسن عبد الجبار الأسدآبادي (ت 410 هـ). وخص الجزء السادس عشر منه للإعجاز القرآني، وهو يقع في 348صفحة، وقد استطاع أن يفصح عما لم يستطع الباقلاني الإفصاح عنه من بيان معنى النظم يقول عبد الجبار: "اعلم أن الفصاحة لا تظهر فى أفراد الكلام، وانما تظهر فى الكلام بالضم على طريقة مخصوصة، ولا بد مع الضم من أن يكون لكل كلمة صفة، وقد يجوز فى هذه الصفة أن تكون بالمواضعة التي تتناول الضم، وقد تكون بالإعراب الذى له مدخل فيه، وقد تكون بالموقع، وليس لهذه الأقسام الثلاثة رابع لأنه اما أن تفيد فيه الكلمة، أو حركاتها، أو موقعها، ولا بد من هذا الاعتبار فى كل كلمة، ثم لا بد من اعتبار مثله فى الكلمات إذا انضم بعضها إلى بعض»، ثم يقول: «ان المعانى وان كان لا بد منها فلا تظهر فيها المزية وان كانت تظهر فى الكلام لأجلها، ولذلك نجد المعبرين عن المعنى الواحد يكون أحدهما أفصح من الآخر والمعنى متفق، وقد يكون أحد المعنيين أحسن وأرفع والمعبر عنه فى الفصاحة أدون فهو مما لا بد من اعتباره وان كانت المزية تظهر بغيره، على أنا نعلم أن المعانى لا يقع فيها تزايد، فاذن يجب أن يكون الذى يعتبر التزايد عند الألفاظ التى يعبر بها عنها، فاذا صحت هذه الجملة فالذى به تظهر المزية ليس الا الابدال الذى به تختص الكلمات، أو التقدم والتأخر الذى تختص الموقع. أو الحركات التى تختص الاعراب، فبذلك تقع المباينة ولا يمتنع فى اللفظة الواحدة أن تكون إذا استعملت فى معنى تكون أفصح منها إذا استعملت فى غيره، وكذلك فيما إذا تغيرت حركاتها فأما حسن النغم وعذوبة القول فمما يزيد الكلام حسنا على السمع لا أنه يوجد فضلا فى الفصاحة[46]".

ثانيا: نظرية النظم عند الجرجاني:

لا شك أن البحث عن تعليل لإعجاز القرآن، أسس للدراسات البلاغية، وكما نرى أن الحديث عن النظم كان إشارات عند السابقين، إلى أن بدأت ملامحه تظهر عند الخطابي ثم عند القاضي عبد الجبار إلى أن تبلورت كنظرية عند عبد القاهر الجرجاني(ت471هـ)[47] في كتابه دلائل الإعجاز في علم المعاني، كما استطاع أن يبلور من خلال كتابه أسرار البلاغة (نظرية علم البيان)، والناظر في كتاب الدلائل يجد أنه أسس لدراسة البلاغة العربية منطلقا من إعجاز القرآن، لذلك لا نجد تفصيلا في عرض التطبيقات لنظرية النظم القرآني.

حاول العلماء أن يبينوا مظاهر النظم القرآني، ويبرزوها للناس، فركز كل واحد منهم على جانب محدد، فأشار الجاحظ إلى أن الإعجاز في نظم القرآن وتأليفه، وأن نظمه يتجلى بأسلوبه المتميز مما يخالف فيه جميع الكلام الموزون والمنثور، من الأشعار والأسجاع[48] . ربط الباقلاني النظم بالأسلوب أولاً ليثبت مخالفة القرآن لأساليب العرب، ثم أردف معنى ثان أناطه بتأليف الكلام، وذلك بضم بعضه إلى بعض على طريقة مخصوصة، عمدة هذا التأليف توافق الألفاظ والمعاني وانسجامهما[49]، ورغم تفصيل الباقلاني في ذلك لكنه لم يقصد معنى النظم عند الجرجاني، فإن نظرية النظم لم تتبلور إلا في كتابه دلائل الإعجاز عند الجرجاني، فمفهومه للنظم يتمثل في أنه تعليق للكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض، وتوخي معاني النحو بين الكلام حسب الأغراض التي يصاغ لها الكلام، وأن ميزة النظم البلاغية تكمن في المعنى الذي تحدثه الألفاظ إذا ألفت على ضرب خاص من التأليف، ورتبت ترتيبا معلوما، بحيث يقع ترتيب الألفاظ في الكلام على حسب ترتيب معانيها في النفس[50].إذ ليس الغرض "بنظم الكلم أن توالت ألفاظها في النطق، بل أن تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل"[51]

يلاحظ مما سبق أن الجرجاني انطلق في دراسته النظم من التركيب، لكن في العصر الحديث نجد الرافعي بدأ نظريته بداية معاكسة، فبدأ من الحروف وأصواتها أولاً ثم الكلمات وحروفها ثانياً ثم الجمل وكلماتها ثالثاً ،ليبلور نظرية النظم الموسيقي في القرآن[52] ولم يقتصر الأمر على ذلك بل ظهرت في العقود الأخيرة نظرية التصوير الفني في القرآن لتكمل ما قدمه الأقدمون من بحوث متعلقة بالنظم والبلاغة ، فانتظم في أصولها ما كان من التدقيق في أساليب التعبير اللغوي ، والحرف والكلمة والتركيب و البلاغة في فلسفة أدبية حديثة ،تجلي الغاية من كل ذلك ، فتساعد على استرواح الجمال الفني للقرآن، فنجد أنه يعبر عن المعنى الحسي والمعنوي بصورة محسوسة متخيلة شاخصة[53] .

"وضع عبد القاهر كتابين هما: (دلائل الإعجاز) و (أسرار البلاغة). وهما من خير الكتب في هذا الفن قديمها وحديثها، إذ تحدث عن البلاغة في أصالة معناها وسمو هدفها وغايتها، قبل أن تكدر مواردها العذبة بالأجاج الذي لا يستحلى، والذي حولها إلى مجموعة من المصطلحات والتعقيدات التي لا تنفذ من منفذ الوجدان، وإنما منفذها الوحيد العقل الذي تعود الممارسة، فصار الباب الذي تلج منه كأنها والفلسفة شريكان، لقد جاء عبد القاهر والناس مختلفون بين نصير للفظ يراه سبب البلاغة، ومقدم للمعنى يرى له الشرف والسبق، فوضع نظريته في المعاني. نظرية النظم، وأساسها الذي تقوم عليه أن اللفظ لا ينظر إليه من حيث هو لفظ، وأن المعنى لا ينظر إليه من حيث هو معنى، وإنما ينظر إلى الأول من حيث هو قالب للمعنى، وينظر إلى الثاني من حيث هو معبر عنه بهذا اللفظ. وتلك النظرية هي التي خصها بكتاب (دلائل الإعجاز). بقي أن جمال هذا النظم، إنما يعظم ويحسن بقدر تأثيره في النفوس. وهذه خصها بكتابه الثاني (أسرار البلاغة). ولقد كانت دراسته فتحًا جديدًا في هذه الفنون، وهو يطبق ذلك على آي الكتاب العزيز[54]."

ثم جاء الزمخشري (ت538هـ) ليطبق نظرية عبد القاهر، بحذافيرها كاملة غير منقوصة، في تفسير الكشاف، كان الجاحظ أول بلاغي أثار جدلية اللفظ والمعنى حتى أنه رفع من شأن اللفظ وغض من شأن المعنى[55]، إلا أن ذلك كان ممهداً لظهور نظرية النظم عند الجرجاني ، بل كرد فعل على توجه الجاحظ[56]، فالجرجاني يرفض الفصل بين اللفظ والمعنى أو الشكل والمضمون ، ويؤكد على أهمية النسق والنظم، فهو يرى أن الناس يتكلمون مع بعضهم ليعرف السامع غرض المتكلم ومقصوده ، لأن العلم بمقاصد الناس ، في محاوراتهم ضروري[57]، كانت لآراء الجرجاني دور رئيسي في تحويل وجهة الدرس النقدي والدرس البلاغي من مدارات اهتماماتها القديمة وتأسيسهما على مبحث النظم[58]، فلم يكتف الفخر الرازي(ت606هـ) بذلك التطبيق، بل عمل على استكمال المباحث التي تحتاج إلى ترتيب وتهذيب من وجهة نظره فألف كتابه "نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز"؛ ثم جاء السكاكي (626هـ) واعتمد منحى الجرجاني ليدرس المعنى في الكلام استناداً إلى صناعته وتأليفه وطرق نظمه ومقتضيات أحواله[59] ، فالغرض الأصلي من الكلام عند السكاكي إنما هو التركيب[60] ، عرف السكاكي علم المعاني بأنه " تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها من الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره "[61] كما عرف علم البيان بأنه " معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالنقصان ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام ولتمام المراد منه "[62]

ثالثا - ضبط الذوق الأدبي:

يقرر الدكتور محمد زغلول سلام أن ظاهرة الإعجاز البلاغي الثانية جدت مع الإسلام على الحياة الأدبية النقدية عند العرب، وهي ظاهرة لم تعرف من قبل؛ لذا كان من الطبيعي أن يستعمل العلماء عبقرياتهم في دراستها[63] .ويقول أيضًا ":ولكن الحقيقة التي ينبغي أن نضعها دائمًا أمام أعيننا، ولا يمكن جحدها أو إنكارها، هي أن أثر القرآن في تربية الذوق العربي، وصقله على العصور، وفي كشف جمال الأساليب العربية، واضح لا يخفى ولا يغير منه القول، بأن بلاغة أرسطو تدخلت في الميدان وكان لها ما لها، مما أتعب فيه بعض الباحثين أنفسهم للكشف عنه"[64].

يتضح مما سبق، "أن البيان القرآني، الذي تفاعلت معه النفوس، كان السبب المباشر في تلك الثروة العلمية الضخمة[65]." وهذا الذي أكده كل من ألف في علم البلاغة كالعسكري في كتابه الصناعتين، يحي بن حمزة العلوي في كتابه: الطراز المتضمّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، والقزويني في كتابه التلخيص[66]

المبحث الثاني
تميّز النظم القرآني

المطلب الأول: التحدي بنظم غير مسبوق

ذُكر النظم في القرآن الكريم كمعنى في قوله تعالى (كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ) [هود:1] فالمراد بقوله تعالى: " كتاب أحكمت آياته " أي في النظم والرصف وأنه حق من عند الله عز وجل[67]. والذي عليه جمهور العلماء أن القرآن الكريم تحدى العرب وهم أهل الفصاحة والبيان بأن يأتوا بمثل القرآن الكريم في حسن نظمه وتأليفه[68] كما في قوله تعالى: (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ

) [يونس: 38] وقوله: (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) [هود:13]،وقوله: (قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) [الإسراء 88]، فالقرآن الكريم جاء بنظم فريد لم يعهده العرب في شعرهم أو نثرهم، فكان تحديًا صريحًا لهم أن يأتوا بمثله أو بعشر سور أو حتى بسورة واحدة، أو آية تعادل أقصر سورة منه[69]، فعجزوا عن ذلك رغم فصاحتهم وبلاغتهم، وذلك أن الله أحاط بكل شيء علماً وأحاط بالكلام كله علماً، فعلم بإحاطته أي لفظة تصلح أن تلي الأولى وتبين المعنى بعد المعنى، ثم كذلك من أول القرآن إلى آخره، ومعلوم ضرورة أن أحداً من البشر لا يحيط بذلك؛ لأن البشر يعمهم الجهل والنسيان والذهول، فهذا جاء نظم القرآن في الغاية القصوى من الفصاحة[70].

هذا العجز سجّل للقرآن سبقًا في باب البلاغة والفصاحة، وجعل النظم القرآني معيارًا أعلى يُقاس عليه غيره.

المطلب الثاني: مظاهر تميز النظم القرآني

المظهر الأول : تميز الأسلوب القرآني:

الأسلوب هو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير[71].

شهد العرب أهل الفصاحة والبلاغة في عصر النزول على تميز الأسلوب القرآني عن أساليبهم السائدة في تأليف الكلام من النثر والشعر والسجع، ومنهم أحد زعماء قريش عتبة بن أبي ربيعة إذ يقول: (قَدْ سَمِعْتُ قَوْلًا وَاَللّهِ مَا سَمِعْت مِثْلَهُ قَطّ، وَاَللّهِ مَا هُوَ بِالشّعْرِ وَلَا بِالسّحْرِ وَلَا بِالْكِهَانَةِ[72].) ومنهم أنيس الغفاري؛ فمما روي أن أنيسا أخا أبي ذر قال لأبي ذر: لقيت رجلا بمكة على دينك يزعم أن الله أرسله، قلت: فما يقول الناس ؟ قال يقولون: شاعر، كاهن، ساحر، وَكَانَ أُنَيْسٌ أَحَدَ الشُّعَرَاءِ فيقول بعد سماعه القرآن: (لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الْكَهَنَةِ فَمَا هُوَ بِقَوْلِهِمْ وَلَقَدْ وَضَعْتُ قَوْلَهُ عَلَى أَقْرَاءِ الشِّعْرِ فَمَا يَلْتَئِمُ عَلَى لِسَانِ أَحَدٍ بَعْدِي أَنَّهُ شِعْرٌ وَاللَّهِ إِنَّهُ لَصَادِقٌ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ[73]).

ولعل من أبرز خصائص الأسلوب مع تميزه وخروجه عن المألوف، جريانه على نسق واحد من السمو في جمال اللفظ، وعمق المعنى ودقة الصياغة وروعة التعبير، رغم تنقله بين موضوعات مختلفة من التشريع والقصص والمواعظ والحجاج والوعود والوعيد[74] .

المظهر الثاني: الاتساق اللفظي والإيقاع الداخلي:

من خصائص النظم القرآني المناسبة بين اللفظ والصوت والمعنى، حيث تظهر الملاءمة الدقيقة بين طبيعة المعنى وطبيعة الصوت المعبر عنه، فيختار اللفظ المناسب للمعنى والسياق الذي ورد فيه، مما يزيد الأثر البلاغي للنص[75].

من ذلك لفظة "النُذُر" جمع نذير، فإن الضمة ثقيلة فيها لتواليها على النون والذال معا فضلا عن جسأة هذا الحرف ونبوّه في اللسان وخاصة إذا جاء فاصلة، مما يكشف عنه ويفصح عنه موضع الثقل فيه، ولكنه جاء في القرآن على العكس وانتفى من طبيعته في قوله تعالى: (وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْاْ بِٱلنُّذُرِ) [سورة القمر:36] تأمل مواضع القلقلة في دال (لقد) وفي الطاء من (بطشتنا) وهذه الفتحات المتوالية فيما وراء الطاء إلى واو (تماروا) مع الفصل بالمد كأنه تثقيل لخفة التتابع في الفتحات إذا هي جربت على اللسان ليكون ثقل الضمة عليه مستخفا بعد، ولتكون هذه الضمة قد أصابت موضعها، ثم ردد نظرك في الراء من (تماروا) فإنها ما جاءت إلا مساندة لراء (النذر) حتى إذا انتهى اللسان إلى هذه، انتهى إليها من مثلها، فلا تجف عليه ولا تغلظ ولا تنبو فيه، ثم اعجب لهذه الغنة التي سبقت الطاء في نون (أنذرهم) وفي ميمها، وللغنة الأخرى التي سبقت الذال في (النذر)[76]

الأثر الموسيقى لمفردات القرآن:

لا شك أن جل علم العرب الشعر، وبه تميزوا، وتباروا، مما كان له أثر في تميزهم للجمال الصوتي والإيقاعي، حتى انعكس على كلامهم المنثور في السجع والخطابة[77]، فلم نزل القرآن "رأوا حروفه في كلماته، وكلماته في جمله ألحانا لغوية

رائعة، كأنها لائتلافها وتناسبها قطعة واحدة قراءتها هي توقيعها، فلم يفتهم هذا المعنى، وأنه أمر لا قبل لهم به، وكان ذلك أبين في عجزهم"[78]. وقد ظهر هذا الأثر في تسللهم لسماع القرآن سرا، لذلك سجل القرآن تواصيهم بعدم السماع والتشويش حتى لا يتأثروا ب؛ قال عنهم عزّ وجلّ: (وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا: لا تَسْمَعُوا لِهذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ) [سورة فصّلت: 26]،

وفي هذا يقول إبراهيم أنيس:"وفي رأيي أن هذه الظاهرة الموسيقية في اللغة العربية تعزى إلى تلك الأمية حين كان الأدب أدب الأذن لا أدب العين، وحين اعتمد القوم على مسامعهم في الحكم على النص اللغوي، فاكتسبت تلك الآذان المران والتمييز بين الفروق الصوتية الدقيقة[79]".

ويمكن أن يكون السبب هو طبيعة "اللغة العربية التي نشأت موسيقاها وفق ذوق أوّلي، ثم صار هذا الذوق قانونا موسيقيا، ثم نزل القرآن الكريم بتشكيل فريد، وذلك بلجوئه إلى مزية خاصة، وتخيّره وتهذيبه للمفردات، وليس من الضروري أن يكون تفشّي الأمية السبب الوحيد، لأن الشعر قديم، ولكل قديم منه معايشة شفوية في زمن ما"[80].

المظهر الثالث: التناسق بين العبارة والموضوع الذي يُراد تقريره:

إن الذي يتمعن النظر في النظم القرآني يلاحظ التناسق الكامل والتآلف التام بين العبارة القرآنية والمعنى الذي يُراد بيانه، فالألفاظ في النظم يُلائم بعضها بعضاً، وهي كلها متوجهة إلى الغرض المنشود بحيث إذا كان المعنى غريباً كانت ألفاظه غريبة وإذا كان المعنى معروفاً مستحدثاً كانت الألفاظ تناسبها. مثال ذلك: قوله تعالى: (وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ)[الأنبياء : 46]، في سياق بيان الضعف البشري أمام جبروت الخالق تبارك وتعالى أراد بيان ضعفهم أمام العذاب الخفيف القليل فأتى ب (إن) التي تفيد التشكيك في وقوعه، وأتى بكلمة (المسّ) بدل الإصابة أو الحرق فهو دونها في المرتبة ودون الدخول، وكذلك كلمة (نفحة) مع تنوينها المشعر بضعف العذاب وحقارته و(من) المفيدة للبعضية فلم يأتهم كل العذاب وإنما هي نفحة عابرة يسيرة من جزء صغير من العذاب، ثم العذاب لم يُضف إلى اسم دال على القهر والجبروت بل أضيف إلى أرق اسم دال على الشفقة وهو (رب) ثم أضيف الرب إلى مقرّب محبوب وهو ضمير خطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. إن الكلمات كلها مسوقة إلى هدف واحد وهو وصف هذا العذاب بالقلة والضآلة والحقارة؛ ليبيّن بالتالي أن المذنبين يندمون ويتأسفون على ما عملوا عند تعرضهم لنفحةٍ بسيطة من عذاب الله (وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ)[81].

المظهر الرابع: دقة اختيار المكان المناسب للكلمة المعبرة (مزج أفصح الألفاظ بأحسن التأليف وأصح المعاني):

اعتبر البلاغيون الكبار كالباقلاني والخطابي أن إعجاز القرآن يكمن في أنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف، مضمّنًا أصح المعاني[82]، فالنظم القرآني ليس مجرد ترتيب ألفاظ، بل هو إحكام في اختيار الألفاظ وربطها بالمعاني بحيث لا يمكن استبدال كلمة بأخرى دون الإخلال بجمال النص أو معناه.:إن الكلمات القرآنية لها دور وضرورة في السياق للدلالة على المعنى، وحينما يصف القرآن الكريم دعوة امرأة العزيز للنسوة . اللاتي تحدثن منتقدات عن مراودتها يوسف عن نفسه . إلى جلسة لطيفة في بيتها لتطلعهن فيها على يوسف وجماله فيعذرنها فيما أقدمت عليه، لقد قدمت لهن في ذلك المجلس طعاماً ولا شك. ولقد أوضح القرآن هذا، ولكنه لم يعبر عن ذلك بالطعام فهذه الكلمة إنما تصور شهرة الجوع وتنقل بالفكر إلى المطبخ بكل ما فيه من ألوان الطعام وروائحه وأسبابه، ولكن بماذا يعبّر إذن؟ وأين في اللغة الكلمة التي تؤدي معنى الطعام ولا تمس الصورة بأي تعكير أو تشويه ؟ لقد أبدع القرآن لذلك تعبيراً عجيباً رائعاً حيث قال: (لَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً)[سورة يوسف:31].

كَرِيمٌ(متكأ) كلمة تصور من الطعام ذلك النوع الذي إنما يقدّم تفكهاً وتبسطاً وتجميلاً للمجلس وتوفيراً لأسباب المتعة فيه، حتى إن الشأن فيه أن يكون الإقبال عليه في حالة من الراحة والاتكاء[83]. ولعلها أدركت بغريزتها النسائية ما سيؤول إليه أمرهن فاختارت هذا المتكأ مما يحتاج فيه إلى سكين (وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا).

وأحياناً يكون الاختيار للكلمة في مكان دون أماكن، ويستبدل به غيرها لسرّ لطيف بالرغم من كون الموضوع واحداً، لكن الكلمة المختارة تعطي مدلولاً خاصاً لا يوفيه حقه إلا استعمال الكلمة القرآنية المختارة.

فمثلاً في قصة يوسف عليه السلام استعمل التعبير القرآني كلمة (فأكله الذئب) ولم يستعمل افترسه الذئب، علماً أن الشائع في الاستعمال إطلاق كلمة الافتراس على مثل هذا النوع، وذلك للطيفة دقيقة وهي أن الافتراس من فعل السبع معناه القتل فحسب، وأصل الفرس: دق العنق، والقوم إنما ادّعوا على الذئب أنه أكله أكلاً، وأتى على جميع أجزائه وأعضائه فلم يترك مفصلاً ولا عظماً. وذلك أنهم خافوا مطالبة أبيهم إيّاهم بأثر باقٍ منه يشهد بصحة ما ذكروه فادّعوا فيه الأكل ليزيلوا عن أنفسهم المطالبة، والفرس لا يعطي تمام هذا المعنى فلم يصلح على هذا أن يعبّر عنه إلا بأكل[84].

المظهر الخامس: الجملة القرآنية و صياغتها:

فمن خصائصها: **التلاؤم والاتساق بين كلماتها، وبين ملاحق حركاتها، وسكناتها**، فالجملة في القرآن دائماً مؤلفة من كلمات وحروف، وأصوات يستريح لتألفها السمع والصوت والمنطق، ويتكون من تضامها نسق جميل ينطوي على إيقاع رائع، ما كان ليتم لو نقصت من الجملة كلمة أو حرف أو اختلف ترتيب ما بينها بشكل من الأشكال.

مثال ذلك قوله تعالى :(فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ(11) وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ(12)) [القمر:11-12] يلحظ المتأمل تناسق الكلمات في كل جملة منها، وتألف الحروف الرخوة مع الشديدة والمهموسة والمجهورة وغيرها، وتعاطف الحركات والسكنات والمدود اللاحقة ببعضها، فإنك إذا تأملت في ذلك، علمت أن هذا الجملة القرآنية، إنما صبت من الكلمات والحروف والحركات في مقدار، وأن ذلك إنما قدر تقديراً بعلم اللطيف الخبير وهيهات للمقاييس البشرية أن تضبط الكلام بهذه القوالب الدقيقة .

ومنها: **أن تدل الجملة القرآنية بأقصر عبارة على أوسع معنى تام متكامل** لا يكاد الإنسان يستطيع التعبير عنه، إلا بأسطر وجمل كثيرة، دون أن تجد فيه اختصاراً مخلا، أو ضعفاً في الأدلة. أقرأ قوله تعالى: (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) [سورة الأعراف:199]. جمع الله بهذا الكلام كل خلق عظيم، لأن في أخذ العفو صلة القاطعين والصفح عن الظالمين.

ومنها: **إخراج المعنى المجرد في مظهر الأمر المحسوس الملموس**، ثم بث الروح والحركة في هذا المظهر نفسه.

يتجلى ذلك بأن تصبح هذه الألفاظ وسيلة لصب المعاني الفكرية المجردة في قوالب من الشخوص والأجرام والمحسوسات، تتحرك في داخل الخيال كأنها قصة تمر أحداثها على مسرح يفيض بالحياة والحركة المشاهدة الملموسة. فمثلاً يصور لنا قيام الكون على أساس من النظام الرتيب والتنسيق البديع الذي لا يتخلف، ولا يلحقه الفساد، فيقول سبحانه: (إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ) [الأعراف: 54].

إنه يصور هذا المعنى في مظهر من الحركة المحسوسة الدائرة بين العينين، وكأنها أمام آلات تتحرك بسرعة دائبة في نظام مستمر يعيها و تصورها الشعور و الخيال[85].

الخاتمة:

يتميز النظم القرآني بالترابط والانسجام والتناسب، ويخلو من التنافر والاختلاف، وهو ما لا يوجد في كلام البشر لقد شكّل النظم القرآني تطورا في البلاغة العربية، ليس فقط من حيث الشكل البياني، بل من حيث إعادة صياغة العقل البلاغي العربي؛ ليقوم على التحليل السياقي للعلاقات بين الألفاظ والمعاني، بعد أن كانت البلاغة في العصر الجاهلي تدور غالبًا حول فخامة اللفظ وجزالة التركيب.

قام العلماء بدراسة نظم القرآن وتحليل تراكيبه وأساليبه، فاستخرجوا منها قواعد بلاغية دقيقة، مثل التقديم والتأخير، والحذف والذكر، والإيجاز والإطناب، والتصوير البياني. لم تكن هذه القواعد مدوّنة أو محددة قبل القرآن، بل جاء تقعيدها نتيجة التأمل في أسرار النظم القرآني وبلاغته الفريدة.

فالعرب قبل نزول القرآن، وإن امتلكوا فطرة بيانية رفيعة، إلا أنهم لم يدركوا سر النظم بوصفه علمًا قائمًا على ترتيب الكلام وفق مقتضى الحال؛ لذلك لم تكن لديهم قواعد تضبط بلاغة التقديم والتأخير، أو الذكر والحذف، أو التخصيص والتعميم، أو التكرار، أو التعريف والتنكير إلا في حدود الذوق الفطري والخبرة الخطابية، فجاء القرآن ليؤسس لهذه الظواهر نظريًّا وعمليًّا، وهي المفاهيم التي تطوّر منها لاحقًا علم المعاني. كما أسهم النظم القرآني في توسيع الدلالة البلاغية، وبيان الفرق بين المعاني القريبة والبعيدة، فنشأ عن ذلك ذوق بلاغي رفيع لا يقف عند مستوى الألفاظ، بل يغوص في عمق التراكيب.

وباعتبار مركزية القرآن في حياة المسلمين بدأ يبرز الأثر التطبيقي لهذا النظم في تأثيره على الشعراء والخطباء والكتّاب، إذ أصبح الذوق القرآني معيارًا يُقاس عليه البيان، مما رفع من مستوى الخطاب العربي وأكسبه بعدًا بلاغيًا مركبًا، يتجاوز المجاز والزخرفة اللفظية إلى المقاصد والمعاني.

قبل نزول القرآن، كان معيار البلاغة هو ما يقوله الشعراء والخطباء من العرب، لكن بعد نزوله، أصبح القرآن هو المعيار الأعلى للفصاحة، وصار علماء البلاغة يقيسون بلاغة الكلام بمقدار اقترابه من النظم القرآني في السبك والتراكيب من حيث دقة التعبير والتناسب والانسجام بين اللفظ والمعنى، والتناسق والترابط بين التراكيب، ومراعاة المقام والسياق، والابتكار في التصوير البياني، والإيجاز والإطناب وفق مقتضى الحال، وسلامة التركيب نحويا وصرفيا، ومراعاة الجرس والإيقاع.

التوصيات:

البحث في البلاغة القرآنية بحر لا شاطئ له، لذلك يوصي البحث بدراسة أثر القرآن الكريم في كل مسألة من مسائل علم المعاني، سواء من خلال التأصيل أو التقعيد، أو من خلا ل التطبيقات المختلفة في كتب البلاغة أو كتب الأدباء.

كما أؤكد على دعوة الباحثين إلى إجراء دراسات مقارنة بين الترادف في القرآن الكريم والترادف في النصوص الأدبية مع التركيز على الفروق الدلالية بين الاستخدام الأدبي والاستخدام البلاغي القرآني[86].

بيانات الإفصاح:

- **الموافقة الأخلاقية والموافقة على المشاركة:** تم الاتفاق على المشاركة في البحث وفقاً للإرشادات الخاصة بالمجلة.
- **توافر البيانات والمواد:** كافة البيانات والمواد متاحة عند الطلب.
- **مساهمة المؤلفين:** يتحمل المؤلفين مسؤولية كافة محتويات البحث والتحليل والمنهجية والمراجعة الكاملة.
- **تضارب المصالح:** لا يوجد تضارب في المصالح لأي طرف من خلال تصميم البحث وتقديمه وتقييمه.
- **التمويل:** لا يوجد أي تمويل مخصص لهذا البحث.
- **شكر وتقدير:** الشكر الجزيل لأكاديمية التطوير العلمي ومجلة المؤتمرات العلمية (JSC) على الدعم والإرشادات (/https://sdasmart.org/jsconf)

المراجع:

أنيس، إبراهيم. (د.ت.). *دلالة الألفاظ* (ط. 2). مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
الأصفهاني، الراغب .(1984). *مقدمة جامع التفاسير* (ط. 1، تحقيق أحمد حسن فرحات). دار الدعوة، الكويت.
الباقلاني، محمد بن الطيب .(1973). *إعجاز القرآن*. المكتبة الثقافية، بيروت.
الباقلاني، محمد بن الطيب. (د.ت.). *إعجاز القرآن* (ط. 5، تحقيق أحمد صقر). دار المعارف، مصر.
البوطي، محمد سعيد رمضان. (د.ت.). *من روائع القرآن* (ط. 3). مكتبة الفارابي، دمشق.
بنت الشاطئ، عائشة عبد الرحمن. (د.ت.). *الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق: دراسة قرآنية لغوية وبيانية*.
بوقمرة، عمر. (2017). إعجاز القرآن البياني وأثره في نشأة الدرس البلاغي. *مجلة تاريخ العلوم*، (10).
الجرجاني، عبد القاهر .(1981). *دلائل الإعجاز*. دار المعرفة، بيروت.
الجرجاني، عبد القاهر .(1978). *دلائل الإعجاز* (تحقيق محمد عبده). دار المعرفة، بيروت.
الجرجاني، علي بن محمد .(1983). *التعريفات* (ط. 1). دار الكتب العلمية، بيروت.
الجاحظ، عمرو بن بحر .(1990). *البيان والتبيين* (ط. 1، تحقيق عبد السلام محمد هارون). دار الجيل، بيروت.
الجاحظ، عمرو بن بحر .(1948). *الحيوان* (ج. 3، تحقيق عبد السلام محمد هارون). مطبعة مصطفى باب الحلبي، القاهرة.
خلف الله أحمد، محمد. (د.ت.). *ثلاث رسائل في إعجاز القرآن*. دار المعارف، مصر.
الخطابي، حمد بن محمد. (د.ت.). بيان إعجاز القرآن. في محمد خلف الله أحمد و محمد زغلول سلام (تحقيق)، *ثلاث رسائل في إعجاز القرآن* (ط. 4). دار المعارف، مصر.
الخطيب القزويني، محمد بن عبد الرحمن .(1971). *الإيضاح في علوم البلاغة*. دار الكتاب اللبناني، بيروت.
ضيف، شوقي .(1999). *في الأدب والنقد*. دار المعارف، القاهرة.
الرافعي، مصطفى صادق. (د.ت.). *إعجاز القرآن*. دار الكتاب العربي، بيروت.

الرماني، علي بن عيسى. (د.ت.). النكت في إعجاز القرآن. في محمد خلف الله أحمد &محمد زغلول عبد السلام (تحقيق)، *ثلاث رسائل في إعجاز القرآن* (ط. 3). دار المعارف، مصر.

الزرقاني، عبد العظيم .(1943) .*مناهل العرفان في علوم القرآن* (ط. 3). دار إحياء التراث العربي، بيروت.

زكريا، القاسم محمود. التراكيب البلاغية القائمة على الترادف بين النفي والإثبات في القرآن الكريم: دراسة تحليلية. (2025). مجلة التطوير العلمي للدراسات والبحوث 255_238 ,(21)6 ,JSD.

سلام، محمد زغلول. (د.ت.) .*أثر القرآن في تطور النقد العربي* .مكتبة الشباب.

السكاكي، يوسف بن أبي بكر محمد بن علي. (د.ت.) .*مفتاح العلوم* .مطبعة التقدم العلمية، مصر.

صمود، حمادي .(1981) .*التفكير البلاغي عند العرب* .منشورات الجامعة التونسية.

الشايب، أحمد. (د.ت.) .*الأسلوب* (ط. 5). مكتبة النهضة المصرية.

عباس، فضل حسن .(2016) .*التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث* (ط. 1). دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن.

عباس، فضل .(2009) .*إعجاز القرآن* (ط. 7). دار النفائس.

أبوعبيدة، معمر بن المثنى. (د.ت.). مجاز القرآن (تحقيق محمد فؤاد سزكين). مكتبة الخانجي، القاهرة.

عرفة، عبد العزيز عبد المعطي .(1985) .*قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية* (ط. 1). عالم الكتب، بيروت.

عرفة، عبد العزيز عبد المعطي .(1984) .*من بلاغة النظم القرآني دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني* (ط. 2). عالم الكتاب، بيروت.

العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله. (د.ت.) .*كتاب الصناعتين*)تحقيق علي محمد البجاوي &محمد أبو الفضل إبراهيم). القاهرة.

قطب، سيد. (د.ت.) .*التصوير الفني في القرآن الكريم* (ط. 17). دار المعارف، مصر.

القرطبي، محمد بن أحمد .(1985) .*الجامع لأحكام القرآن* .دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

مبارك، مازن. (د.ت.) .*الموجز في تاريخ البلاغة* .دار الفكر.

مسلم، مصطفى. (د.ت.) .*مباحث في إعجاز القرآن* .دار القلم، دمشق.

أبو موسى، محمد حسنين. (د.ت.) .*البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية* .دار الفكر العربي.

ناصف، مصطفى .(2000) .*النقد العربي نحو نظرية ثانية* .عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

ابن منظور، محمد بن مكرم .(1955) .*لسان العرب* (ط. 1). دار صادر، بيروت.

الحموي، ياقوت بن عبد الله الرومي .(1993) .*معجم الأدباء* (ط. 1، تحقيق إحسان عباس). دار الغرب الإسلامي، بيروت.

ياسوف، أحمد .(1999) .*جماليات المفردة القرآنية* (ط. 2). دار المكتبي، دمشق.

References

Anīs, Ibrāhīm. (n.d.). *Dalālat al-alfāẓ* (2nd ed.). Anglo Egyptian Bookshop, Cairo.

Al-Aṣfahānī, Al-Rāghib. (1984). *Muqaddimat Jāmiʿ al-tafāsīr* (1st ed., Aḥmad Ḥasan Farḥāt, Ed.). Dār al-Daʿwah, Kuwait.

Al-Bāqillānī, Muḥammad ibn al-Ṭayyib. (1973). *Iʿjāz al-Qurʾān*. Al-Maktabah al-Thaqāfiyyah, Beirut.

Al-Bāqillānī, Muḥammad ibn al-Ṭayyib. (n.d.). *Iʿjāz al-Qurʾān* (5th ed., Aḥmad Ṣaqr, Ed.). Dār al-Maʿārif, Egypt.

Al-Būṭī, Muḥammad Saʿīd Ramaḍān. (n.d.). *Min rawāʾiʿ al-Qurʾān* (3rd ed.). Maktabat al-Fārābī, Damascus.

Bint al-Shāṭiʾ, ʿĀʾishah ʿAbd al-Raḥmān. (n.d.). *Al-iʿjāz al-bayānī lil-Qurʾān wa-masāʾil Ibn al-Azraq: Dirāsah Qurʾāniyyah lughawiyyah wa-bayāniyyah*.

Būqamara, ʿUmar. (2017). The rhetorical inimitability of the Qur'an and its impact on the emergence of rhetorical studies. *Journal of the History of Sciences*, (10).

Al-Jurjānī, ʿAbd al-Qāhir. (1981). *Dalāʾil al-iʿjāz*. Dār al-Maʿrifah, Beirut.

Al-Jurjānī, ʿAbd al-Qāhir. (1978). *Dalāʾil al-iʿjāz* (Muḥammad ʿAbduh, Ed.). Dār al-Maʿrifah, Beirut.

Al-Jurjānī, ʿAlī ibn Muḥammad. (1983). *Al-taʿrīfāt* (1st ed.). Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah, Beirut.

Al-Jāḥiẓ, ʿAmr ibn Baḥr. (1990). *Al-bayān wa-al-tabyīn* (1st ed., ʿAbd al-Salām Muḥammad Hārūn, Ed.). Dār al-Jīl, Beirut.

Al-Jāḥiẓ, ʿAmr ibn Baḥr. (1948). *Al-ḥayawān* (Vol. 3, ʿAbd al-Salām Muḥammad Hārūn, Ed.). Maṭbaʿat Muṣṭafā Bāb al-Ḥalabī, Cairo.

Khalaf Allāh Aḥmad, Muḥammad. (n.d.). *Thalāth rasāʾil fī iʿjāz al-Qurʾān*. Dār al-Maʿārif, Egypt.

Al-Khaṭṭābī, Ḥamad ibn Muḥammad. (n.d.). Bayān iʿjāz al-Qurʾān. In Muḥammad Khalaf Allāh Aḥmad & Muḥammad Zaghlūl Salām (Eds.), *Thalāth rasāʾil fī iʿjāz al-Qurʾān* (4th ed.). Dār al-Maʿārif, Egypt.

Al-Khaṭīb al-Qazwīnī, Muḥammad ibn ʿAbd al-Raḥmān. (1971). *Al-īḍāḥ fī ʿulūm al-balāghah*. Dār al-Kitāb al-Lubnānī, Beirut.

Ḍayf, Shawqī. (1999). *Fī al-adab wa-al-naqd*. Dār al-Maʿārif, Cairo.

Al-Rāfiʿī, Muṣṭafā Ṣādiq. (n.d.). *Iʿjāz al-Qurʾān*. Dār al-Kitāb al-ʿArabī, Beirut.

Al-Rummānī, ʿAlī ibn ʿĪsā. (n.d.). Al-nukat fī iʿjāz al-Qurʾān. In Muḥammad Khalaf Allāh Aḥmad & Muḥammad Zaghlūl ʿAbd al-Salām (Eds.), *Thalāth rasāʾil fī iʿjāz al-Qurʾān* (3rd ed.). Dār al-Maʿārif, Egypt.

Al-Zarqānī, ʿAbd al-ʿAẓīm. (1943). *Manāhil al-ʿirfān fī ʿulūm al-Qurʾān* (3rd ed.). Dār Iḥyāʾ al-Turāth al-ʿArabī, Beirut.

Salām, Muḥammad Zaghlūl. (n.d.). *Athar al-Qurʾān fī taṭawwur al-naqd al-ʿArabī*. Maktabat al-Shabāb.

Al-Sakkākī, Yūsuf ibn Abī Bakr Muḥammad ibn ʿAlī. (n.d.). *Miftāḥ al-ʿulūm*. Maṭbaʿat al-Taqaddum al-ʿIlmiyyah, Egypt.

Ṣammūd, Ḥammādī. (1981). *Al-tafkīr al-balāghī ʿinda al-ʿArab*. University of Tunis Publications.

Al-Shāyib, Aḥmad. (n.d.). *Al-uslūb* (5th ed.). Maktabat al-Nahḍah al-Miṣriyyah.

ʿAbbās, Faḍl Ḥasan. (2016). *Al-tafsīr wa-al-mufassirūn: Asāsiyyātuhu wa-ittijāhātuhu wa-manāhijuhu fī al-ʿaṣr al-ḥadīth* (1st ed.). Dār al-Nafāʾis, Jordan.

ʿAbbās, Faḍl. (2009). *Iʿjāz al-Qurʾān* (7th ed.). Dār al-Nafāʾis.

ʿArafah, ʿAbd al-ʿAzīz ʿAbd al-Muʿṭī. (1985). *Qaḍiyyat al-iʿjāz al-Qurʾānī wa-atharuhā fī tadwīn al-balāghah al-ʿArabiyyah* (1st ed.). ʿĀlam al-Kutub, Beirut.

ʿArafah, ʿAbd al-ʿAzīz ʿAbd al-Muʿṭī. (1984). *Min balāghat al-naẓm al-Qurʾānī: Dirāsah taḥlīliyyah li-masāʾil ʿilm al-maʿānī* (2nd ed.). ʿĀlam al-Kitāb, Beirut.

Al-ʿAskarī, Abū Hilāl al-Ḥasan ibn ʿAbd Allāh. (n.d.). *Kitāb al-ṣināʿatayn* (ʿAlī Muḥammad al-Bajāwī & Muḥammad Abū al-Faḍl Ibrāhīm, Eds.). Cairo.

Abū ʿUbaydah, Maʿmar ibn al-Muthannā. (n.d.). *Majāz al-Qurʾān* (Muḥammad Fuʾād Sezgin, Ed.). Maktabat al-Khānjī, Cairo.

Quṭb, Sayyid. (n.d.). *Al-taṣwīr al-fannī fī al-Qurʾān al-karīm* (17th ed.). Dār al-Maʿārif, Egypt.

Al-Qurṭubī, Muḥammad ibn Aḥmad. (1985). *Al-jāmiʿ li-aḥkām al-Qurʾān*. Dār Iḥyāʾ al-Turāth al-ʿArabī, Beirut, Lebanon.

Mubārak, Māzin. (n.d.). *Al-mūjaz fī tārīkh al-balāghah*. Dār al-Fikr.

Al-Muslim, Muṣṭafā. (n.d.). *Mabāḥith fī iʿjāz al-Qurʾān*. Dār al-Qalam, Damascus.

Mūsā, Muḥammad Ḥusnayn Abū. (n.d.). *Al-balāghah al-Qurʾāniyyah fī tafsīr al-Zamakhsharī wa-atharuhā fī al-dirāsāt al-balāghiyyah*. Dār al-Fikr al-ʿArabī.

Nāṣif, Muṣṭafā. (2000). *Al-naqd al-ʿArabī naḥwa naẓariyyah thāniyah*. National Council for Culture, Arts and Letters, Kuwait.

Ibn Manẓūr, Muḥammad ibn Mukarram. (1955). *Lisān al-ʿArab* (1st ed.). Dār Ṣādir, Beirut.

Al-Ḥamawī, Yāqūt ibn ʿAbd Allāh al-Rūmī. (1993). *Muʿjam al-udabāʾ* (1st ed., Iḥsān ʿAbbās, Ed.). Dār al-Gharb al-Islāmī, Beirut.

Yāsūf, Aḥmad. (1999). *Jamāliyyāt al-mufradah al-Qurʾāniyyah* (2nd ed.). Dār al-Maktabī, Damascus.

الهوامش:

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، دار المعرفة، بيروت،1402هـ1981م، ص38

[2] محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، لسان العرب دار صادر، ط1، بيروت،1374هـ1955م، مادة (نظم)، 578/12.

[3] الجرجاني، التعريفات، تحقيق جماعة من العلماء دار الكتب العلمية، بيروت، ط1403،1هـ1983م، مادة (نظم)، 242

[4] مصطفى مسلم، مباحث في إعجاز القرآن، دمشق، دار القلم. ص133

[5] لسان العرب، مادة: بلغ.

[6] الرّماني، النكت في اعجاز القرآن (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحق: محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول عبد السلام، دار المعارف ط/ ٣ ص ٧٥ - ٧٦).

[7] الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٧١.ص80.

[8] العسكرى، أبو هلال الحسن بن عبد الله، كتاب الصناعتين، تحقيق على محمد البجاوى ومحمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، ص6.

[9] . موجز البلاغة، ط1، المطبعة التونسية ،تونس،1343هـ، صـ4 .

[10] . مصطفى ناصف، النقد العربي نحو نظرية ثانية، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت،ع255، ذي العقدة 1420هـ مارس 2000م، صـ217 .

[11] . عبد العزيز حمودة المرايا المقعرة نحو نظرية عربية، عالم المعرفة، عدد 272، المجلس الوطني للآداب، الكويت، جمادى الأولى 1422هأغسطس 2001م ، ص322 .

[12] . محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر / الدار الجماهيرية:ج18/1.

[13] . التحرير: ج18/1، و يدخل في الاستعمال العربي أشعار العرب و خطبهم ،وعوائدهم ،و أمثالهم و محادثاتهم ، "وما يؤثر عن بعض السلف في فهم معاني بعض الآيات على قوانين استعمالهم" . التحرير: ج1/ص21وص23.

[14] . التحرير :ج19/1.

[15] . يوسف ابن أبي بكر محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، مطبعة التقدم العلمية، مصر، ص 70 ، التحرير :19/1

[16] . التحرير: 20/1

[17] . التحرير: ج102/1.

[18] . التحرير، ج119،106/1 .

[19] - حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب، منشورات الجامعة التونسية، 1981، ص35. مازن المبارك، الموجز في تاريخ البلاغة، دار الفكر، ص 33.

[20] - عبد العزيز عبد المعطي عرفة: من بلاغة النظم القرآني دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، عالم الكتاب، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1984م، الجزء الأول، ص9

[21] أحمد بن محمد الخراط، عناية المسلمين باللغة العربية خدمة للقرآن الكريم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ص29 . التفكير البلاغي عند العرب 36، بدوي طبانة البيان العربي، مكتبة الأنجلو المصرية 43.

[22] سبب هذه المقولة تأثر المعتزلة بما يعتقده البراهمة عن كتابهم المقدس، في أنهم يعجزون عن الإتيان بمثله؛ لأن براهما صرفهم عن ذلك، وفي مقدور الخاصة محاكاته، ولكنهم ممنوعون احتراماً. إعجاز القرآن للدكتور مصطفى مسلم 59. عناية المسلمين باللغة العربية خدمة للقرآن الكريم، أحمد محمد الخراط ص32.

[23] التفكير البلاغي عند العرب 38. عناية المسلمين باللغة العربية خدمة للقرآن الكريم (ص: 32)

[24] الموجز في تاريخ البلاغة 45. عناية المسلمين باللغة العربية خدمة للقرآن الكريم (ص: 32)

[25] فقد شارك في تشييد صرح الإعجاز وبنائه طوائف مختلفة من العلماء منهم المتكلمون أمثال: بشر ابن المعتمر(ت210هـ)....، ومنهم اللغويين أمثال المبرد(285هـ) صاحب كتاب: "الكامل"، وقد تحدث فيه عن الاستعارة، والالتفات، والإيجاز، والإطناب، والتشبيه وغيرها. وألف ثعلب(291هـ) كتيبا سماه"قواعد الشعر" ذكر فيه بعض وجوه البلاغة، كالمبالغة،ـوسماها "الإفراط والإغراق"،ـوالكناية وسماها "لطافة المعنى"، والاستعارة، والمطابقة، والطباق وغيرها. وشارك بعض المتفلسفة مثل قدامة بن جعفر(337هـ)،صاحب كتاب "نقد الشعر"، وعدد من النقاد المشهورين أمثال: ابن طباطبا(322هـ) في كتابه "عيار الشعر"، والآمدي (ت371هـ) في كتابه "الموازنة بين أبي تمام والبحتري".....، وعدد من المتأدبين أمثال: أبي هلال العسكري(ت395هـ)في كتابه"الصناعتين"، وابن رشيق القيرواني(ت463هـ)في كتابه "العمدة 8 في صناعة الشعر ونقده"، وابن سنان الخفاجي(ت466هـ)في كتابه" سر الفصاحة" . وحتى النحاة كانوا يبدون في تضاعيف شروحهم للشواهد القرآنية والشعرية بعض الملاحظات البلاغية، التي أسهمت في التأسيس لعلم البلاغة، ولكن مع نهاية القرن الثالث أخذ اللغويون "يتوسعون في المباحث اللغوية الخالصة منحازين عن مباحث البيان والبلاغة، كأنهم رأوا – محقين- أنها ميدان آخر غير ميدانهم. أما المتكلمون فقد ظل نشاطهم في هذه المباحث متصلا، وكان من أهم ما وصلهم بها أنهم عنوا بتعليل إعجازالقرآن وتفسيره بلاغيا" . ينظر: محمد العمري: البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، أفريقيا الشرق، المغرب، 1999م، ص.92

[26] عناية المسلمين باللغة العربية خدمة للقرآن الكريم (ص: 33)

[27] ينظر: محمد العمري: البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، أفريقيا الشرق، المغرب، 1999م، ص.92

[28] فضل حسن عبَّاس،التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن،الطبعة: الأولى، 1437 هـ - 2016 م،1/ 411.

[29] ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، معجم الأدباء، المحقق: إحسان عباس،دار الغرب الإسلامي، بيروت،الطبعة: الأولى، 1414 هـ - 1993 م، 19/ 158. ينظر :أبو عبيدة معمر بن المثنى: مجاز القرآن، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، الجزء الأول، 11ص.16

[30] التفسير والمفسرون في العصر الحديث، (1/ 411) انظر على سبيل المثال: معاني القرآن، ج1، ص332

[31] عبد العزيز عبد المعطي عرفة، قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية، عالم الكتب، الطبعة الأولى (1405 هـ - 1985م)، ص137.

[32] عمر بوقمرة، إعجاز القرآن البياني وأثره في نشأة الدرس البلاغي، مجلة تاريخ العلوم، العدد العاشر، 2017م، ص71

[33] التفسير والمفسرون في العصر الحديث (1/ 420)

[34] فضل عباس، إعجاز القرآن، دار النفائس،الطبعة السابعة، 1429ه، 2009.ص38. ثم ألف أبو بكر عبد الله ابن أبي داود السجستاني (ت316ه) كتابا سماه "نظم القرآن"، وكذلك فعل أبوزيد البلخي: أحمد بن سليمان (ت322ه)،. وفي أواخر القرن الثالث ظهر أول كتاب 18 أحمد بن علي المعروف بابن الإخشيدي المعتزلي(ت326ه) بعنوان "إعجاز القرآن ونظمه وتأليفه" لأبي عبد الله بن يزيد الواسطي المعتزلي (ت 306 ه) ، وتذكر بعض كتب التراجم أن عبد القاهر الجرجاني قد شرحه مرتين، الشرح الأول سماه "المعتضد الكبير"، والثاني ؛ إلا أنه لم يصل إلينا، وهو" أول كتاب وضع لشرح الإعجاز، وبسط القول فيه سماه "المعتضد الصغير". عمر بوقمرة، إعجاز القرآن البياني وأثره في نشأة الدرس البلاغي، مجلة تاريخ العلوم، العدد العاشر، 2017م، ص72

[35] فضل عباس، إعجاز القرآن،دار النفائس،الطبعة السابعة، 1429ه، 2009.ص38.

[36] فضل عباس، إعجاز القرآن،دار النفائس،الطبعة السابعة، 1429ه، 2009.ص39.

[37] ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي والجرجاني في الدراسات القرآنية والنقد، ص 75- 76.

[38] عناية المسلمين باللغة العربية خدمة للقرآن الكريم (ص: 35)

[39] عمر بوقمرة، إعجاز القرآن البياني وأثره في نشأة الدرس البلاغي، مجلة تاريخ العلوم، العدد العاشر، 2017م، ص73

[40] البيان فى اعجاز القرآن للخطابى ضمن ثلاث رسائل فى اعجاز القرآن ص 23.

[41] المرجع السابق

[42] البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية (ص: 125)

[43] عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، دراسة قرآنية لغوية وبيانية، ص 110

[44] ينظر:الباقلاني: إعجاز القرآن، المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان، 1973م، ص 47 .

[45] محمد حسنيت أبو موسى، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، دار الفكر العربي، ص126

[46] القاضي عبد الجبار،المغنى في أبواب العدل والتوحيد، تحقيق محمد مصطفى حلمي، أبو الوفا الغنيمي، الدار المصرية، ج 16ص 199، 200.

[47] البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية (ص: 129)

[48] الجاحظ ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل بيروت ،1410ه1990م،1/383.

[49] يقول الباقلاني "ونظم القرآن جنس متميز، وأسلوب متخصص، وقبيل عند النظير متخلص" الباقلاني ، إعجاز القرآن، تحقيق: أحمد صقر،دار المعارف بمصر ، القاهرة، ط3،159. ويقول أيضا "وذلك أن نظم القرآن على تصرف وجوهه وتباين مذاهبه، خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم، ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم وله أسلوب يختص به، وتمز في تصرفه عن أسليب الكلام المعتاد" المصدر نفسه، 35.

[50] يقول الجرجاني:"واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت، فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك، فلا تخل بشيء منها. وذلك أنا لا نعلم شيئاً يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه". الجرجاني دلائل الإعجاز، م.س ، 38. و يقول "واعلم أنك إذا رجعت إلى نفسك، علمت علما لا يعترضه الشك أن لا نظم في الكلم، ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض، ويبنى بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب من تلك، هذا ما لا يجهله عاقل، ولا يخفى على أحد من الناس" "وإذا كان لا يكون في الكلام نظم ولا ترتيب، إلا بأن يصنع بها هذا الصنيع ونحوه، وكان ذلك كله مما لا يرجع منه إلى اللفظ شيء، ومما لا يتصور أن يكون فيه ومن صفته، بان بذلك أن الأمر على ما قلناه من أن اللفظ تبع للمعنى في النظم، وأن الكلم تترتب في النطق بسبب ترتب معانيها في النفس"الجرجاني،دلائل الإعجاز، م.س ، 30-31.

[51] الجرجاني،دلائل الإعجاز، م.س ، 30.

[52] إن ابن سنان الخفاجي المتوفى سنة 466ه قد سبق بالحديث عن الحروف وأصواتها، والكلمات وحروفها ثم عن الكلام المؤلف وموسيقى التركيب ، إلا أنه قد أخذ عليه تداخل المعلومات فيما يتصل بهذا الموضوع إضافة إلى عدم ترتيب الأفكار فيه، فهو يتكلم مثلا عن الحروف ثم يعقبها بالكلمات ثم يعود إلى تقسيم الحروف، وفي الحديث عن تآلف الكلمات يدخل فيها الحديث عن الصور البيانية كحسن الاستعارة وحسن

الكناية وغير ذلك. سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي، ص19-24، 48-86، 108-155.يقول الرافعي: ولو تدبرت ألفاظ القرآن في نظمها لرأيت حركاتها الصرفية واللغوية تجيء في الوضع والتركيب مجيء الحروف أنفسها فيما هي له من أمر الفصاحة، ويهيئ بعضها لبعض، ويساند بعضها بعضا، ولن تجدها إلا مؤتلفة مع أصوات الحروف مساوقة لها في النظم الموسيقي، حتى إن الحركة ربما كانت ثقيلة في نفسها لسبب من أسباب الثقل، فلا تعذب ولا تستساغ، فإذا هي استعملت في القرآن رأيت لها شأنا عجيبا، ورأيت أصوات الأحرف والحركات التي قبلها قد امتهدت لها طريقا في اللسان واكتنفتها بضروب النغم الموسيقي حتى إذا خرجت فيه كانت أعذب شيء وأرقه، وجاءت متمكنة في موضعها وكانت لهذا الموضع أولى الحركات بالخفة والروعة. الرافعي، إعجاز القرآن ، ط المكتبة التجارية الكبرى ، مصر،257-258

[53] سيد قطب ، التصوير الفني في القرآن ، دار المعارف ، مصر ، 33.

[54] التفسير والمفسرون في العصر الحديث - فضل عباس (1/ 448- 449)

[55] . الجاحظ ، الحيوان ، مطبعة مصطفى باب الحلبي ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، القاهرة ، 1948، ج131/3 –132. وانظر : شوقي ضيف ، في الأدب والنقد ، دار المعارف ، القاهرة ، 1999م ، ص65.

[56] . انظر : خالد ميلاد ، المعنى عند البلاغيين ، السكاكي نموذجان ، صناعة المعنى وتأويل النص ، جامعة تونس الأولى ، كلية الآداب ، منوبة ،سلسلة الندوات مجلد 8 ،أعمال الندوة التي نظمها قسم العربية من 24إلى 27 إفريل 1991م ، ص158 .

[57] . انظر : عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، تحقيق : محمد عبده ، دار المعرفة ، بيروت ، 1978م ، ص285 ،408 .

[58] . المعنى عند البلاغيين ، م.س ، ص159 .

[59] . ن،م ، ص159.

[60] . انظر : يوسف ابن أبي بكر محمد بن علي السكاكي ، مفتاح العلوم ، مطبعة التقدم العلمية ،مصر ،ص61 .

[61] . م.س ،ص70 .

[62] . م.س ،ص70

[63] محمد زغلول سلام، أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى آخر القرن الرابع الهجري، محمد خلف الله أحمد، مكتبة الشباب ص ٩ - ١٠.

[64] أثر القرآن في تطور النقد الأدبي ص ٢٥٤.

[65] التفسير والمفسرون في العصر الحديث (1/ 461)

[66] عناية المسلمين باللغة العربية خدمة للقرآن الكريم (ص: 36) ينظر: 1) النكت في إعجاز القرآن 76.الصناعتين 7. الطراز 32.التلخيص 22.

[67] القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ،1405هـ 1985م ، 10/4

[68] عياض، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، دار الفكر، بيروت، 1409هـ-1988م، 1/ 264. الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 2/ 97 .

{ أَمْ يَقُولُونَ } بل أيقولون . { افتراه } محمد صلى الله عليه وسلم ومعنى الهمزة فيه للإنكار . { قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ } في البلاغة وحسن النظم وقوة المعنى على وجه الافتراء فإنكم مثلي في العربية والفصاحة وأشد تمرناً في النظم والعبارة .البيضاوي22/3

[69] الباقلاني: إعجاز القرآن، تحقيق أحمد صقر، دار المعارف، مصر، الطبعة الخامسة، ص250.

[70] وقال الأصفهاني في تفسيره: أما الإعجاز المتعلق بفصاحته وبلاغته فلا يتعلق بعنصره الذي هو اللفظ والمعنى، فإن ألفاظه ألفاظهم، قال تعالى: (قرآناً عربياً) (بلسان عربي) ولا يتعلق أيضاً بمعانيه فإن كثيراً منها موجود في الكتب المتقدمة، قال تعالى: (وإنه لفي زبر الأولين)وما هو في القرآن من المعارف الإلهية وبيان المبدأ والمعاد والإخبار بالغيب، فإعجازه ليس براجع إلى القرآن من حيث هوقرآن، بل لكونها حاصلة من غير سبق تعليم وتعلم، ويكون الإخبار بالغيب إخباراً بالغيب سواء كان بهذا النظم أو بغيره، مؤدى بالعربية أوبلغة أخرى بعبارة أوإشارة، فإن النظم المخصوص صورة القرآن، واللفظ والمعنى عنصره، وباختلاف الصور يختلف حكم الشيء واسمه لا بعنصره، كالخاتم والقرط الخاتم المتخذ من الفضة ومن الذهب ومن الحديد يسمى خاتماً وإن كان العنصر مختلفاً، وإن اتخذ خاتم وقرط وسوار من ذهب اختلفت أسماؤها باختلاف صورها وإن كان العنصر واحداً. قال: فظهر من هذا أن الإعجاز المختص بالقرآن يتعلق بالنظم المخصوص، وبيان كون النظم معجزاً يتوقف على بيان نظم الكلام، ثم بيان أن هذا النظم مخالف لنظم ما عداه. الأصفهاني ، مقدمة جامع التفاسير، تحقيق: د. أحمد حسن فرحات، ط1، دار الدعوة ، الكويت ، 1405هـ1984م، 105-106

[71] الأسلوب، أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية ط/ ٥ ص ٤٤.

[72] ابن هشام، السيرة النبوية ،294/1

[73] صحيح مسلم ،فضائل الصحابة،باب فضائل أبي ذر،ج1920/4،طبع عيس البابي الحلبي بمصر

ISSN: 3105-8396

[74] محمد سعيد رمضان البوطي، من روائع القرآن، مكتبة الفارابي، دمشق، ط3، ص111-113، وانظر: محمد عبدالله دراز، النبأ العظيم،1404هـ 1984م،دار القلم، الكويت،ص108-119.

[75] سيد قطب، التصوير الفني في القرآن الكريم، دار الشروق، مصر، الطبعة: السابعة عشرة، ص: 93، 92.

[76] الرافعي، إعجاز القرآن، م.س، ص 257-258. قول سيد قطب: "إن اللفظَ في القُرْآن قد يرسم بجرسه صورة كاملة، ومن أمثلته أنك تتلو حكاية قول نوح: ﴿ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴾ [هود: 28] فتُحس أن كلمة: {أَنُلْزِمُكُمُوهَا} [هود: 28] تصوِّر جوَّ الإكراه بإدماج كل هذه الضمائر في النطق، وشد بعضها إلى بعض، كما يدمج الكارهون مع ما يكرهون، ويشدون إليه وهم منه نافرون! وهكذا يبدو لون من التناسق أعلى من البلاغة الظاهرية، وأرفع من الفصاحة اللفظية، اللتين يحسبهما بعض الباحثين في القُرْآن قديمًا وحديثًا أعظم مزايا القُرْآن! وتسمع كلمة: (يصطرخون) في الآية: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ * وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ﴾ [فاطر: 36، 37]، فيخيل إليك جرسها الغليظ غلظ الصراخ المختلط المتجاوب من كل مكان، المنبعث من حناجر مكتظة بالأصوات الخشنة؛ كما تلقي إليك ظل الإهمال لهذا الاصطراخ الذي لا يجد من يهتم به أو يلبيه، وتلمح من وراء ذلك كله صورة ذلك العذاب الغليظ الذي هم فيه يصطرخون، وحين يستقل لفظ واحد بهذه الصورة كلها يكون ذلك فنًّا من التناسق الرفيع."

[77] الزرقاني، عبد العظيم، 1943، مناهل العرفان في علوم القرآن، ط/ 3، دار إحياء التراث العربي، بيروت: 2/ 206.

[78] الرافعي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن، دار الكتاب العربي، بيروت بلا تاريخ، ص/ 214.

[79] أنيس، د. إبراهيم، 1963، دلالة الألفاظ، ط/ 2، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص/ 195.

[80] أحمد ياسوف، جماليات المفردة القرآنية، دار المكتبى ، دمشق، الطبعة: الثانية، 1419 هـ - 1999م، (ص: 76).

[81] مصطفى مسلم ، مباحث في إعجاز القرآن ، م.س ، ص134.

[82] الخطابي، بيان إعجاز القرآن: 27. ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن،تحقيق محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف مصر، الطبعة الرابعة. إعجاز القرآن للباقلاني،ص35.

[83] محمد سعيد رمضان البوطي ، من روائع القرآن،م.س ،ص142.

[84] مصطفى مسلم ، مباحث في إعجاز القرآن ، م.س ، ص142. وكذلك العدول عن استعمال حرف إلى آخر كما في قوله تعالى (وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا) فقد عدل عن الحرف (من) إلى (في) في قوله (وارزقوهم فِيهَا) مريدا بذلك أن يجعلوها مكاناً لرزقهم بأن يتجروا فيها ويربحوا ، حتى تكون نفقتهم من الأرباح لا من صلب المال فلا يأكلها الإنفاق ،أي لو كان التعبير بمن لكان الإنفاق من رأس المال، وبالتالي لأكله الإنفاق . الزمخشري ،الكشاف 377/1

[85] محمد سعيد رمضان البوطي، من روائع القرآن، م.س، ص144-148.

[86] القاسم محمود زكريا، التراكيب البلاغية القائمة على الترادف بين النفي والإثبات في القرآن الكريم: دراسة تحليلية .(2025) *مجلة التطوير العلمي للدراسات والبحوث*. *JSD*, *6*(21), 238_255.